دولة الإمارات العربية المتحدة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكمة

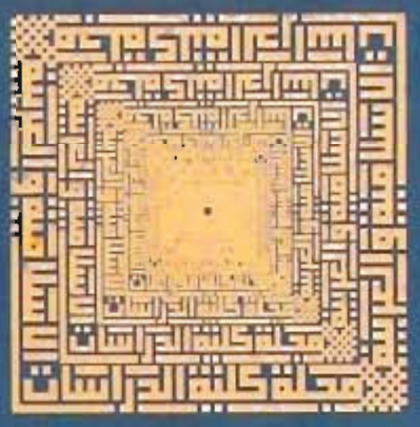

38

العدد الثامن والثلاثون

السنة الثامنة عشرة

السنة الثامنة عشرة

www.islamic-college.ae
iascm@emirates.net.ae

اقرأ في هذا العدد

الزكاة في مال الصبي والمجنون - دراسة فقهية مقارنة

زكاة أسهم الشركات - نظرات في التطبيق العملي

الحافظ القاسم البِرْزَالي وجهوده في الحديث والتاريخ

البعد الحضاري للتسامح الإسلامي مع أهل الكتاب

التذكار في قراءة أبان بن يزيد العطّار-دراسة وتحقيق وتعليق

الأثر والأثر العكسي للفكر الاستشراقي في النحو والصرف العربي

روابط الجملة عند النحويين القدماء

مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحّان

الأثر النفسي لحذف الأجوبة في القرآن الكريم

1430هـ /2009 م

مَجلَّـــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

مجلة علمية محكَّمة

نصف سنويَّة

العدد الثامن والثلاثون
ذوالحجة ١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٩ م

المشرف العام

د. محمد عبدالرحمن
مدير الكلية

رئيس التَّحرير

أ. د. أحمد حساني

هيئة التَّحرير

أ. د. محمد عبدالله سعادة
أ. د. عمر عبد المعبود
أ. د. عبد العزيز صغير دخان
د. أسماء أحمد العويس

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير..... ١٤-١٥

- **الزكاة في مال الصبي والمجنون - دراسة فقهية مقارنة**

أ. د. محمد الزحيلي..... ١٩-٨٨

- **زكاة أسهم الشركات - نظرات في التطبيق العملي**

د. روحية مصطفى الجنش ٨٩-١٥٨

- **الحافظ القاسم البِرْزَالي وجهوده في الحديث والتاريخ**

د. سمير محمد عبيد نقد..... ١٥٩-٢٠٨

- **البعد الحضاري للتسامح الإسلامي مع أهل الكتاب**

- دراسة موضوعية في الفكر الإسلامي

د. عمر وفيق الداعوق..... ٢٠٩-٢٧٨

- **التذكار في قراءة أبان بن يزيد العطّار-دراسة وتحقيق وتعليق**

د. الشريف ولد أحمد محمود..... ٢٧٩-٣٢٨

- **الأثر والأثر العكسي للفكر الاستشراقي في النحو والصرف العربي**

د. منيرة عبدالله ناصر الفريجي..... ٣٢٩-٣٩٠

- **روابـط الجملة عند النحويين القدماء**

د. الشريف ميهوبي..... ٣٩١-٤٤٨

- **مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحّان**

-قراءة في المحتوى والمنهج والمصطلح

د.محمود سالم خريسات..... ٤٤٩-٤٩٤

- **الأثر النفسي لحذف الأجوبة في القرآن الكريم**

د.حفظي اشتية..... ٤٩٥-٥٤٢

الأثر النفسي لحذف الأجوبة في القرآن الكريم

د. حفظي اشتية

أستاذ البلاغة المساعد في جامعة البلقاء التطبيقية

ملخص البحث

عماد هذا البحث مركوز على فكرة الملابسة الحميمة القائمة بين بلاغة اللفظ الصادرعن الملقي ، والأثر الذي يتركه في نفس المتلقي .

وقد تم اختيارحذف الأجوبة في القرآن الكريم لاختبار تلك الفكرة ، والتدليل على صحتها .

و مُهد للأمر بمقدمة تلمست إدراك علمائنا القدماء العلاقة بين بلاغة الكلام وآثاره النفسية، وتم استعراض كثير من تعليقاتهم التي تكشف عن قناعتهم بقوة تلك العلاقة.

ثم امتُحنت تلك القناعة، فكانت الوقفة الرئيسية لتتبع أمثلة من حذف الأجوبة في القرآن الكريم ، و استعراض أنظار النحاة و البلاغيين و المفسرين بشأنها ، فتبين أن معظم جهودهم توفرت على رد المحذوفات إلى هذه التراكيب، و غالبا ما قهرتهم الصنعة النحوية ، فسخرتهم للنهوض بمتطلباتها ، و كان الأولى لهم الالتفات إلى أن بلاغة تلك التراكيب تتجلى في الانزياح المقصود عن النمط المألوف بتعمد حذف الأجوبة ، و النجاح ـ اعتماداً على ذلك ـ في إحداث الأثر النفسي المحمود .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد وتحديد

العلاقة بين بلاغة الكلام والدواعي النفسية ليست قضية خلافية، فهي من الأمور الجليّة، قد تحتاج إلى تتبع وتمثيل ،لكنها لا تفتقر إلى برهان ودليل .

وما فات علماءَنا القدماء الالتفات إلى هذه العلاقة ،فتنبهوا لها ،ونبَّهوا عليها. لكن ملحوظاتهم وردت أشتاتا ما ضمّها ناظم، ولا جمعها نظام ،ويهمنا هنا التقاط بعض لفتاتهم ذات العلاقة بموضوع هذا البحث ؛أي العلاقة بين الحذف والتأثيرات النفسية ،وقد بدا ذلك منذ محاولاتهم وضع تعريف للبلاغة ،فكثيرون منهم لمسوا صلات صادقة بين وجازة الكلام ،وبلاغته وقوّة تأثيره ،فوقفوا على الإيجاز في العربية معللين محللين، وجعلوه نوعين[1]:

إيجاز قصر يقوم على تكثيف الألفاظ وتكثير المعاني ،وإيجاز حذف يقوم على إسقاط جزء من الألفاظ اعتمادا على أن في ما أُبقي دليلا على ما أُلقي . وموضوع هذا البحث يقع ضمن هذا النوع الثاني.وقد بدت قناعتهم بقوة العلاقة بين البلاغة والإيجاز لدى محاولاتهم المبكرة توصيف البلاغة ،ووضع تعريف لها ،فتشعبت آراؤهم لكنها – في الغالب – كانت تدندن حول الإيجاز، أو ترد حوضه ،فقد تلاقى جمهورهم على أن البلاغة هي الإيجاز ،أو اللمحة الدالة ،أو حذف الفضول ،أو كلمة تكشف عن البقية ،أو الإشارة الدالة.....

١- ينظر: النكت في إعجاز القران،الرماني ،أبو الحسين علي بن عيسى(٣٨٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق محمد خلف الله،ومحمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر،ط٢، ص٧٦ ،و المثل السائر ،ابن الأثير ،أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد (٦٣٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،صيدا وبيروت،١٩٩٠، ج ٢ص٧٤.

الخ. وذلك للحفاظ على نشاط النفس ،وتحاشي الاستثقال والإملال[٢].

وكانوا يعيبون كثرة الكلام ويرون الاقتصاد فيه أبلغ وإن كان في الزيادة إصابة وإفادة ؛

« فقد قيل لإياس : ما فيك عيب إلا كثرة الكلام .قال : فتسمعون صوابا أم خطأ ؟ قالوا : لا ،بل صوابا. قال : فالزيادة من الخير خير»[٣] .

لكن الجاحظ يهجم على قول إياس مفندا قبل أن يظن صوابه ،فيعترض مستحضرا ،بقوة ،الآثار النفسية قائلا :

«وليس كما قال ؛للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ،وما فضل عن قدر الاحتمال ،ودعا الى الاستثقال، فذلك الفاضل هو الهذر،وهو الخطل ،وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه . »[٤]

ولعل هؤلاء الحكماء الذين استهدى بحكمهم الجاحظ في رأيه الحاسم ،لعلهم هم الذين خطّوا مياسم العربية ،ورسموا أعرافها ،فيبدو أن الميل للإيجاز،وتفضيله

٢- ينظر، مثلا:
- البيان والتبيين، الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ج١ص١٠٦،١٠٧.
- والبلاغة،المبرد،أبو العباس محمد بن زيد(٢٨٥هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط١٩٨٥،٢،ص٩٢ .
- والنكت،الرماني، ص٧٦.
- والصناعتين،العسكري،أبو هلال الحسن بن عبدالله(٣٩٥هـ)، تحقيق محمد مفيد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨١،ص٨٣،٤٨،٤٢.
- وإعجاز القران، الباقلاني،أبو بكر محمد بن الطيب(٤٠٣هـ)، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،بيروت،١٩٩١،ص٩٠.
- والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني،أبو علي الحسن(٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل،بيروت،ط٤، ج١ص٢٤٣،٢٤٢.
- والمثل السائر،ابن الأثير، ج٢ص٦٨.

٣- البيان والتبيين،الجاحظ، ج١ص٩٩.

٤- المصدر نفسه،ويمكن الموازنة مع الصناعتين، العسكري، ص١٩٤.

على الإطالة ،كان يصدقه واقع الاستعمال اللغوي الرفيع ،وتنصره الأعراف الشائعة الصادرة عن قناعة بعد تجريب بأن الإيجاز – مراعاة للأحوال النفسية– يشحن الكلام بعناصر التأثير ،ويشحذ العقل بدواعي التفكير ،مما يضمن لذلك الكلام نجاحا أكبر في تحقيق المرام .

ويكتسب هذا المنحى للإيجاز مصداقية عليا عندما يفتخر به فصحاء العرب ويتواصون ،ويتعهدونه بالتفضيل والتطبيق في أسلوبهم الخطابي والكتابي نثرا وشعرا ؛ فالرسول الكريم وهو أفصح العرب جعل الإيجاز مثار الافتخار فقال: أوتيت جوامع الكلم ، «والغرض مما قاله هو أنه عليه الصلاة والسلام مُكّن من الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة .»[٥]

وكان ينفر عليه الصلاة والسلام من الإطالة في الكلام ؛ فقد تكلم بين يديه عليه السلام رجل فأطال ، « فقال عليه الصلاة والسلام : كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاي وأسناني ، فقال : إن الله يكره الانبعاق في الكلام ، فنضَّر الله وجه رجل أوجز في كلامه ،واقتصر في حاجته .» [٦]

وسيدنا علي – كرم الله وجهه – مضرب المثل في البلاغة يرى أن الإيجاز أوقع في النفس ،وأشد تأثيرا، فيقرر قائلا :

« ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز ،وفي المعاني إطالة .»[٧]

وعلى ذلك مضى أبيناء العرب ،وصفوة شعرائهم يرون الإيجاز قنصا نفسيا ثمينا ،والإطالة مباءة للبلاغة ،ومدعاة للإملال ،فقد سُئل أحد الشعراء : لمَ لا

٥- المثل السائر، ابن الأثير، ج١ص٦٧،٦٥، و الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ)، مطبعة المقتطف بمصر،١٩٨٤، ج٢ص٨٨.

٦- العمدة،ابن رشيق، ج١ص٢٤١.

٧- الصناعتين،العسكري، ص١٩٧.

تطيل الشعر ؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق . وكان الفرزدق أوضح منه تعليلا حين سُئل : « ما صيَّرك إلى القصائد القصار دون الطوال ؟ فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع ، وفي المحافل أجول. »[٨]

وعندما راح الرواد يبحثون في أسرار الإعجاز القرآني ،شقوا دروبا بكرا،ووضعوا للاحقين علامات بها يهتدون ،فعدّوا البلاغة أحد أوجه الإعجاز القرآني وجعلوها عشرة أقسام أولها الإيجاز[٩]. وافتخر الخطابي باهتدائه إلى وجه من أوجه الإعجاز القرآني خفي غفل عنه الكثيرون ،وهو تأثيره النفسي فقال: « قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم ،وذلك صنيعه بالقلوب ،وتأثيره في النفوس . »[١٠]

ثم كانت البلاغة على ميعاد مع عميدها «عبد القاهر الجرجاني» الذي فتق لها أذكى الأكمام ،واستل منها أشجى الأنغام ،فكانت له وقفات معجبة تدور حول أواصر الالتئام بين بلاغة الكلام وتأثيراته النفسية ،فكثيرا ما كان يفتتح حديثه في الأبواب البلاغية في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة بأنظار تلز بلاغة الكلام وأثره النفسي في قرن ،ولطالما كان يقتاد قارئه بلطف إلى تلمس هذه الوشائج بين البلاغة ودواعي النفس . يقول في أحد المواضع موضحا أثر نفسية السامع وإحساسه في تذوق بلاغة أحد التراكيب : «هذا موضع في غاية اللطف ،لا يبين إلا إذا كان المتصفح للكلام حساسا....»[١١]

٨- الصناعتين،العسكري، ص١٩٣، وهناك أقوال أخرى وتواصٍ للأمين،ولجعفر البرمكي،وللحطيئة....

٩- النكت،الرماني، ص٧٦،والباقلاني،إعجاز الفران،ص٢٦٢.

١٠- بيان إعجاز القرآن،الخطابي،أبو سليمان حمد بن محمد،(٣٨٦هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق محمد خلف الله،ومحمد زغلول سلام،ط٢،دار المعارف بمصر،١٩٦٨،ص٧٠ .

١١- أسرار البلاغة ،الجرجاني ،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة،دار المدني بجدة،١٩٩١،ص٣٠٦ .

ويستيقظ نفسية القارئ ليغير ذلك التراكيب عمّا كان عليه في أصل وضعه،ليعاين كيف انحط المعنى من علاه ،وفقد اللفظ رائع بهاه ،فيقول :«انظر هل ترى إلا كلاما فاترا،ومعنى نازلا ، وأخبر نفسك هل تجد ما كنت تجد من الأريحية؟»[١٢]

بل يستحثه أن يغوص في أعين السامعين مستطلعا حجم تأثير الكلام :

« وانظر في أعين السامعين : هل ترى ما كنت تراه من ترجمة المسرة ودلالة على الإعجاب .»[١٣]

ويعقد مقارنة لطيفة بين تأثيرات تصاوير الكلام ،وتصاوير النحت في النفوس،في حديث يشي بقوة الالتحام بين بلاغة الكلام وتأثيراته النفسية في السامعين .[١٤]

أما في وقفته الطويلة في باب الحذف ،فتتجلى في تعليقاته العلائق العظمى بين البلاغة في أسلوب الحذف ،وموقعه في النفوس . تراه ،مثلا ،يستعرض مواضعَ للحذف ، ثم يخاطب القارئ :

«وانظر إلى موقعها من نفسك ،وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجد ،وألطفت النظر في ما تحس به، ثم تكلّف أن ترد ما حذف الشاعر ،وأن تخرجه إلى لفظك ،وموقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ،وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد ،

١٢- المصدر نفسه .

١٣- أسرار البلاغة ،الجرجاني ، ص٣٠٦ .

١٤- ينظر : أسرار البلاغة ،ص٣٤٣ ،والحديث طويل .

وقاعدة التجويد .»[١٥]

وحتى عندما اتجهت البلاغة نحو التقعيد العلمي الصارم على يد السكاكي في المفتاح ،والقزويني في تلخيصه والإيضاح ،ومن تلاهما من الشُرّاح ،بقي للأحوال النفسية حضور واعتبار في تعريف البلاغة إذ تحددت بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة[١٦] ، ومقتضى الحال هذا لا يبعد عن دائرة مراعاة أحوال السامع والملقي والظروف المحيطة،و للأحوال النفسية في كل ذلك اعتداد واعتبار .

ورغم كل الحفاوة التي حظي بها هذا التعريف ،وتربعه في صدارة الكتب البلاغية اللاحقة ،إلا أننا ينبغي ألا نغفل الإرهاصات الصائبة المبكرة التي سالت على ألسنة الرواد ،والبلاغة لّما تزل في المهاد ،ولا سيما ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر التي تلألأت نجمة مضيئة في سماء البلاغة العربية قُبيل أن لاح فجرها الأول ،فقدحت زناد الفكر للاحقين ،وبدا أن بلاغة القول تدور حول عبارته ذائعة الصيت التي ما عفت عبر الزمن إلى يو م الناس هذا ،« لكـــل مقـــام مقـــال» .[١٧]

وبين حلاوة الذائقة في قولة بشر ،وصرامة القاعدة في عبارة القزويني،ظلت تطل خوالج النفوس ،وانفعالاتها ،وبواعث تأثرها ،وضرورة مراعاة كل ذلك والمضي صعدا للوصول إلى أعلى درجات التأثير المأمول ؛ ويبقى الإيجاز في تلك السبيل المسلك المأمون : تراعى حال المتكلم ،فيجب أن يجنح إلى الإيجاز وإن كان

١٥- دلائل الإعجاز،الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ،ط٣ ،مطبعة المدني بالقاهرة،دار المدني بجدة،١٩٩٣،ص١٥١. وينظر تعليقات نفسية أخرى لطيفة في عدة مواضع في باب الحذف،ص١٤٦ـ.

١٦- الإيضاح في علوم البلاغة ،القزويني ،محمد بن عبد الرحمن الخطيب(٧٣٩هـ) ، ط٢،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ، ج١ص٤٤.

١٧- تنظر صحيفة بشر بن المعتمر في : البيان والتبيين ،الجاحظ ، ج١ص١٣٥ـ- .

قادرا على الإطالة ،لأنه يحط بإطالته من قدر كلامه وبلاغته ، « فإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ،ولا خير في شيء يأتيك به التكلف.»[١٨]

وتراعى حال السامعين ،فهم لا يستطيبون الإطالة في الكلام – ولو كان بليغا مفيدا – فتهبط حماستهم، ويضعف تأثرهم ،ليصيروا إلى استثقال ما كانوا يستلطفون ،ويتراخى تأثير الكلام في نفوسهم .[١٩]

وظروف المقام كذلك ينبغي أن يكون لها بالغ الاهتمام في اختيار أسلوب الكلام ،فلا يجوز أن يمضي الكلام على سنن واحد رغم اختلاف طبقات المتكلمين والمستمعين وأحوالهم النفسية، وتنوع مقامات الكلام وظروفه، ومناسباته،وملابساته .

وإن كان القدماء قد أدركوا أن المناسبة تفرض إيجازا تارة ،وإطنابا تارة أخرى[٢٠] ، إلا أنهم ظلوا – في المجمل – إلى الإيجاز أميل ،لأنه عندهم في البلاغة أوغل ،فصرحوا بأن البلاغة بالإيجاز أبلغ من البيان بالإطناب .[٢١]

بل ربطوا الإيجاز برفعة الشأن إذ قالوا : الإيجاز للخواص،والإطناب مشترك بين الخاصة والعامة.[٢٢]

وعلى ذلك عللوا خطاب القرآن للعرب بإيجاز ،فهم إلى الإيجاز أميل ، وعن الإطناب أبعد .[٢٣]

١٨- الصناعتين ،العسكري ، ص١٩٣ .

١٩- سبقت الإشارة إلى أدلة على ذلك ص٤ من هذا البحث .

٢٠- أدب الكاتب،ابن قتيبه،أبو محمد عبدالله بن مسلم(٢٧٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة بمصر،ط١٩٦٣،٤،ص١٦،١٥،و الصناعتين،العسكري، ص١٧٢ .

٢١- الصناعتين ،العسكري ، ص١٨٧، ١٩٤ .

٢٢- نفسه ، ص٢٠٩، ٢١٢ .

٢٣- الخصائص،ابن جني،أبو الفتح عثمان(٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار،ط٢،دار الهدى، بيروت، ج١ص٨٦،٨٣،٣٠ .

بينما جاء خطابه لبني إسرائيل بالبسط والإطناب .[٢٤]

والقرآن الكريم جاء على سنن العرب ،خاطبهم بلسانهم وأساليبهم ،لذلك كان للإيجاز فيه قدر جلي ومكان علي ،فكانت العبارة الوجيزة منه ،المكتنزة بالمعاني تفجر العجب في نفوس العرب من بلاغته وعجزهم عن مجاراته .

عقد القدماء مقارنة بين قوله تعالى :﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾(البقرة: ١٧٩) ، والقول الشائع في العرب : « القتل أنفى للقتل ». وقفوا بين العبارتين طويلا متأملين موازنين[٢٥] ،فوجدوا أن بلاغة العبارة القرآنية المتمثلة في وجازتها اللفظية وغناها بالمعاني وتأثيراتها النفسية الفاعلة ،لا تدانيها عبارة العرب ،بل تتقاصر كثيرا عنها ،وتتهالك دونها .

وإذا كانت هذه العبارة القرآنية بما فيها من إيجاز قصر قد لقيت هذه الحفاوة وهي بها جديرة ،فإن الكثير من الآيات القرآنية التي ورد فيها إيجاز حذف تستحق مثل هذا الاحتفاء وأكثر ،فالحذف إضافة إلى ما فيه من تكثيف وتخفيف ، يسربل الكلام بستر شفيف من الإبهام الحافز على البحث عن المخفي ، والغموض المثير للتفكير،مما يبعث الدواعي النفسية ويثور المشاعر رغبا ورهبا .

ولعل هذا كان أحد أركان الإعجاز القرآني الذي أجهد الرواد في استكناه أسراره ،فاهتدوا باكرا إلى العروة الوثقى التي قرنت هذا الإعجاز القرآني البلاغي بالآثار العظمى التي يتركها في النفوس ،فالقرآن – حقا – صدع النفوس بخطابه ،فوقع الناس صرعى بين مؤمن انشرح صدره فرأى هذا القرآن سبيلا صادقا موصولا بين السماء والأرض ،وبين كافر يفكر ويقدر ،ثم يفر ويدبر يغالب عقله وقلبه متعللا بالجنون أو الشعرأو السحر،فلا ينجيه ذلك كله من انهيار نفسه،

٢٤- الصناعتين ،العسكري ، ص٢١٢ .

٢٥- النكت،الرماني، ص٧٧ـ ، و المثل السائر،ابن الأثير، ج٢ص١١٧ـ .

وانهزام دواخله ،ولا يعفيه من الإقرار بالتأثير النفسي الهائل الداهم لهذا القرآن العظيم . ورغم أنه لا يرعوي عن المكابرة العمياء إلا أنه لا يلبث أن ينزوي معلنا عجزه أمام إعجاز القرآن معترفا بسقوطه المروع أمام التحدي المدوي .[٢٦]

هذا الإعجاز القرآني شغل الناس منذ الصدمة الأولى وما زال ،ولو استثنينا مبدأ الإعجاز بالصرفة[٢٧] الذي يحسم النزال مسبقا بتجريد المنافس من روح التحدي ،فيشل إرادته قبلا، لو استثنينا ذلك ،ورحنا نبحث عن دواع ملموسة ، وأعراض محسوسة للإعجاز القرآني ،فإننا لا شك ،نجد لإيجاز الحذف وما يفعله في النفوس مكانا ومكانة .

إن المطلب الشاخص في هذا البحث يتمثل في تتبع هذا العنصر الإعجازي القرآني ،وهو الأثر النفسي، وذلك باستعراض أمثلة منتقاة دالة على حذف الأجوبة ، واستنطاقها لتبين الأثر النفسي الناجم عنها ، والوقوف على أهم آراء القدماء : نحاة وبلاغيين ومفسرين في هذه المواضع ،ومعاينة كيفية معالجتهم لمواطن الحذف هذه ، وعلامَ انصب اهتمامهم ، وهل كان للآثار النفسية مكان في تخريجاتهم وتعليقاتهم ،وهل يظهر اختلاف بين مناهجهم وطرائق تناولهم وفق تخصصاتهم ،وهل يمكن استثمار اجتهاداتهم واختلافاتهم للنفاذ إلى رأي مرضي في مواطن الحذف يقع الاهتمام الأكبر فيه على سبر العلاقة بين مكان الحذف، ومُكنته من إحداث الأثر النفسي ؟

ـ حذف الأجوبة في القرآن الكريم

يجدر الاحتراز أولاً بإيضاح أنّ من يريد الإلمام بما ورد في كتب البلاغة

٢٦- هذا ما حصل لبعض المكابرين من زعماء قريش. ينظر: بيان إعجاز القرآن،الخطابي، ص٧٠ـ ،و الرسالة الشافية،الجرجاني، المصدر السابق،ص١٢٢ـ .

٢٧- ينظر : النكت،الرماني، ص١١٠ـ .

المتخصصة حول حذف الأجوبة لا يقف على غزير ، ولا يصدر عن ريّ ؛ ذلك أن الكتب البلاغية الأولى كانت ترود دروباً بكراً،وحاول أصحابها وسع جهدهم الإحاطة بأشتات البلاغة المنثورة في كتب النحو والتفسير والبيان ومعاني القرآن، وجعلوا وكدهم التقعيد للظواهر البلاغية بصورتها الإجمالية ، فجاءت كتبهم ـ في المجمل ـ أمشاجاً تأتلف تارة ، وتختلف تارة ، ويقفو اللاحق منهم آثار سابقيه،ورغم أنه يحاول التمايز عنهم، والإضافة إلى ما وصلوا إليه ، والبناء عليه، إلاّ أنه غالباً ما يردّد أقوالهم ، ويستشهد بأمثلتهم لتكون المحصلة النهائية أمثلة محدودة ، وتعليقات مكرورة .

وقد امتاز عبد القاهر الجرجاني عن سابقيه ولاحقيه في طريقة تناوله لظاهرة الحذف، إذ أطال عليها الوقوف ، واستكثر من الأمثلة ، لكنه أدار حديثه حول حذف عنصرين اثنين فقط ، هما : المبتدأ والمفعول به ، ولم يتجاوزهما إلى حذف عناصر أخرى كموضوع هذا البحث .[٢٨]

أما بعد الجرجاني ، فمعلوم أن البلاغة قد تلقّاها السّكّاكي وقلّده لاحقون ، وقادوها نحو التقعيد الصارم، وتم تناول ظاهرة الحذف بشكل مُجزَّأ تبعاً لأحوال المسند والمسند إليه ، وطغت القواعد على الشواهد ، ويكفي الإشارة إلى أن إيضاح القزويني لم يرد فيه سوى بضعة شواهد لحذف الأجوبة.[٢٩]

لأجل ذلك ، طاف هذا البحث في مجموعة من كتب النحو، وإعراب القرآن، ومعانيه،وعلومه، وتفسيره ، إدراكاً لالتفات أصحابها إلى الملامح البلاغية في القرآن ، وتعويلاً عليها ـ مجتمعة ـ في تشكيل الصورة الكلية لموضوع هذا البحث.

٢٨- ينظر: دلائل الإعجاز،ص١٤٦ـ .

٢٩- ينظر : الإيضاح ، ج٣ ،ص١٨٧ـ .

والمتابع لهذه الآراء يستوقفه التشابه بين آراء النحاة والبلاغين والمفسرين ، واعتماد الفريق منهم على الفريق الآخر .

وقد لا يكون ذلك مثيراً للعجب عندما نتذكر الوشائج العظمى التي تصل أرحام هذه العلوم ، وتجعل جهودها تتلاقى ، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بمعاني القرآن الكريم وبلاغته وإعجازه ،فهو مشكاتها العظمى ، ومنبعها الثّر ، إليه ترد ، وعنه تصدر ، ولا غنى لأصول علم منها عن أصول علم آخر ، وكثيراً ما أشير إلى أن الخائض في العلوم القرآنية يحرم عليه ذلك إن كان راجلاً في طائفة من هذه العلوم اللغوية . (٣٠)

لكن يشق على النفس أن نرى أنّ كثيراً من التخريجات في موضوعات هذا البحث كانت مرهونة لقواعد النحو ، وأن الآراء البلاغية كانت كثيراً ما تنكفئ إلى الوراء لتَفْرُغَ لاستيفاء متطلبات القاعدة النحوية ، وردّ المحذوف المقصود من التراكيب إلى أصله ومثاله ، دون أن يكون منها التفات إلى أنّ مكمن البلاغة إنما هو في هذا الانزياح عن المعيار المرسوم للأصل اللغوي ، والانفلات من القيد الموسوم للتركيب العاديّ .

وكي لا يكون موضوع البحث أنظاراً لا يصدقها الواقع ، لا بدّ من دراسة تطبيقية تحدّد المقصود بحذف الأجوبة ،وتستعرض طائفة من الآيات القرآنية الكريمة التي وقع فيها الحذف ،والوقوف عند بعض هذه الآيات لاستعراض الآراء المشتبكة في شأن تقدير ما فيها من المحذوفات ليكون في الاجتزاء غناء

٣٠- ينظر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، دار الفكر ١٩٧٧، ج ١ ص ١٦ ، و الصناعتين ،العسكري ، ص ٩ .
ولشدّة الملابسة الحاصلة بين آراء النحاة والبلاغين والمفسرين ، حاول بعض المتأخرين الفصل بين هذه العلوم ، ورسم حدود تمنع أهل كل علم من ارتياد حياض العلوم الأخرى ، ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ،جمال الدين الأنصاري(٧٦١هـ)، تحقيق مازن مبارك، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر، ط٦ ، ١٩٨٥، ص٨٥٣ـ .

عن الاستقراء ، ثم يتم النظر في الشواهد القرآنية المختارة لتدبّر أسباب حذف الأجوبة فيها ، وتبصر الآثار النفسية الناتجة عنها .

الجهد النحوي بين التركيب الظاهر والمفترض

الأصل أن يكون لكل من الشرط والقسم والطلب جواب تتم به الجملة ، وتحصل معه الفائدة ،لكن هذا الجواب كثيرا ما حذف في مثل هذه التراكيب ؛ ذلك أن الجملة قد تطول، وطول الجملة من دواعي الحذف في العربية ،فيسقط جزء منها تخفيفا على النفس، ويُكتفى بالإلماح إليه ،لدلالة السياق عليه .

وقد تنبه رواد النحاة إلى مثل هذا ،فساءَل عنه سيبويه شيخه الخليل ،فأجابه بأن العرب قد تترك الجواب لعلم المخاطب [٣١] .

ثم تنامى اهتمام اللاحقين من النحاة باستيفاء العناصر النحوية المفترضة للتركيب، فرصدوا مواطن الحذف ،وتوفروا على استكمال مستلزمات العوامل والمعمولات، فبدا اهتمامهم ،مثلا ،في المواضع التي يظهر فيها القسم والشرط يتنازعان جوابا واحدا[٣٢]، فقرروا أن المحذوف هو جواب المتأخر منهما ، واصطنعوا لذلك أمثلة كقولهم : إن قام زيد والله يقم عمرو . فرأوا فيه حذفا لجواب القسم لتأخره . وأما في قولهم : والله إن يقم زيد ليقومن عمرو ،فقرروا

٣١- الكتاب، سيبويه،أبو بشر عثمان بن قنبر(١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون ،ط٣،مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ج٣ص١٠٣.

٣٢- ينظر ، مثلا :

- الكتاب ،سيبويه ، ج٣ص٨٤-ـ ، -
- والنكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري ،أبو الحجاج يوسف بن سليمان ،(٤٧٦هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان،معهد المخطوطات العربية ،الكويت ،١٩٨٧ ، ج٢ص٧٤٣-ـ ،
- وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ابن هشام ، نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ،مؤسسة الطباعة والنشر، دار الهجرة،إيران،ط١٤١٤،٣هـ ، ج٣ص١٩٦ـ ،
- وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،ابن عقيل ،بهاء الدين عبدالله(٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر،ط١٩٧٢،١٥، ج٢ص٣٨٠ـ .

أن جواب الشرط هو المحذوف . وأما إن تقدم عليهما «الشرط والقسم» ذو خبر فقد رجحوا أن يكون الجواب الظاهر للشرط ،وقرروا جواب القسم محذوفا، مثل :

زيد إن قام والله أكرمته ،

و زيد والله إن قام أكرمته .

وهكذا ،نراهم تحدوهم حماستهم في هذا الحجاج، مصطنعين أمثلة بعيدة – في الغالب – عن واقع اللغة واستعمالاتها الحية ،لا همّ لهم إلا استتمام الصورة المثلى المتخيلة للتركيب في نظرهم ، يحاولون – كما يظنون – اعتماد منهج عادل لقسمة المعمولات على العوامل .

وفي القرآن الكريم وقع مثل هذا الحذف المفترض في تراكيب الشرط والقسم والطلب، فبدا النحاة،والبلاغيون والمفسرون كذلك ،ينهجون هذا النهج غالبا ، فذلك الجزء الذي أُلقي يستوفزهم ويثورهم للدفاع عن استقامته لإعادة التحامه مع الجملة الأم ، فتراهم يجلبون بخيلهم ورجلهم ، وهم عازمون على ردّ المحذوفات إلى مواضعها، ويسلكون في سبيل ذلك مسالك شتى [٣٣] :

ـ فئة تقدّر جواباً محذوفاً تستدل عليه من المعاني اللاحقة الواردة في الآية، أو تستنبطه من المعنى العام للمقام .

٣٣- ينظر في شأن هذه الآيات :
إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، الزجاج ، أبو اسحق إبراهيم بن السّري(٣١١هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٣، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٦، ج١ص٣٨ ،ومغني اللبيب ، ابن هشام، ص٨٥٠. و الإتقان ،السيوطي ، ج ٣ ص١٩٢ .
المقصود في هذا المقام التعرف بشكل عام على اصطراع الآراء حول تقدير محذوفات تعيد للعبارة الظاهرة صورتها المثالية المفترضة خدمة للمعنى حينا ،ونصرة للقاعدة النحوية أحايين . وسيتم عرض تفصيلات ذات صلة بهذه الآراء العمومية ،ويتم توثيقها عندما يرد ذكرها في مواضع لاحقة من هذا البحث .

ـ وفئة تقدر زيادة حرف في جملة في الآية القرآنية المعنيّة ، تراها تصلح جوابا للشرط ، ويفسدها ذلك الحرف ، فتجعله زائداً ليغدو ما بعده جواباً سائغاً.

ـ وفئة على العكس من هذا ، تفترض حرفاً موجوداً في الجملة ، لكنه محذوف ، فتعيده إلى مكانه ، ليجعل الجملة صالحة بوجوده لتكون جواباً، وترى في ذلك أسلوباً عربياً ،وطريقاً لاحباً منصوراً بالشعر .

ـ وفئة تبني الأمر على تقديم وتأخير ، فترى أن الجواب مقدَّم غير محذوف، وأن إعادة ترتيب التركيب تقطع القول .

ـ وفئة طفقت تفتش بعيداً عن الجواب ، لتجده مهاجراً متأخراً جداً عن مورد ذكر متعلقه الأول في السورة نفسها، أو في سورة أخرى .

ـ وفئة يبدو ضجرها من خلال جوابها القلق المختصر ؛ إذ تكتفي بالقول : والجواب مضمر .

والمهم في الأمر،أنّ هذه الفئات كلها تلتقي على أمر جامع وهو وجود جواب محذوف ، وأن التركيب لا يصحّ إلاّ به ، ولا يبين المراد إلاّ بردّه[٣٤] .

ويحسن الالتفات بدءاً إلى أنّ تقدير جواب محذوف في بعض التراكيب القرآنية يبدو ضرورياً ؛لأن الوقوف على شكل التركيب وحسب ، لا يكفي للوصول إلى المعنى المقصود؛ من ذلك ،مثلاً (١) ،قوله تعالى :

- ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ (هود: ٥٧).
- ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (فاطر:٤).

٣٤- يمكن أن تطول الحواشي كثيرا لو لجأ الباحث إلى توثيق كل رأي على حده ،وذلك لكثرة تناقل الآراء أو تكرارها أو تشعبها ،فلعل من الأفضل اللجوء إلى تهذيبها واستخلاص صوافيها ،والإحالة إلى مواضع التفاصيل للمهتم .

- ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ (هود:٣) .

-﴿ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال:٣٨).

في مثل هذه الآيات تبدو الصنعة النحوية قد استوفت حقها ؛ فلكل شرط جواب ظاهر اللفظ ، يفي بمطلب القاعدة ، لكن المعنى المراد لا يستقيم مع ظاهر اللفظ ، فللتقدير بعض عذر ؛ لأن المعنى مفتقر إليه ، لا يتضح إلا به ، فيجيء التقدير في مكانه : فإن تولوا فقل لهم ... إن يكذبوك فلا تحزن...

إن يعودوا فسيلاقون من العذاب ما لاقى السابقون .

هذا ، مع عدم إغفال القيمة البلاغية في الحذف من حيث التخفيف ، والوجازة ، وإمضاء الذهن ، وشحذ الذكاء لفهم المراد [٣٥] .

لكن هناك مواضع كثيرة أخرى ، يظهر فيها أن الحذف مقصود لنكتة بلاغية قيمة ، وأن رده – قسراً – يعبث ببلاغة الكلام ، ويحطه من علٍ ؛ لأنه ما من كلام « تجده قد حذف ، ثم أصيب به موضعه ، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به » [٣٦] .

ولعله كان من الأولى أن يوجه الاهتمام إلى فوائد الحذف في مثل هذه

٣٥- ينبغي التنبه إلى أن حذف القول للتخفيف شائع في القرآن ، فهو- كما يقولون - من حديث البحر ، وقد كثر حذف جواب أما الشرطية في مثل هذا ، كقوله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ..... ﴾(آل عمران ١٠٦)، وقوله تعالى :﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ... ﴾ (الجاثية: ٣١) ، أي : فيقال لهم .

للمزيد ، ينظر : مجاز القرآن ،أبو عبيدة ،معمر بن المثنى (٢١٠هـ)، تعليق محمد فؤاد سزكين،مكتبة الخانجي بمصر، ج١ص١٠٠، والصناعتين،العسكري ، ص٢٠٢، والمثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ص١٠٢، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،العلوي ، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) ، مطبعة المقتطف بمصر ،١٩١٤، ج٢ ص١١٤، ومغني اللبيب ، ابن هشام ، ص٨١ .

٣٦- دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص١٥٣،١٥٢.

المواضع ، وقد تنبه إلى ذلك الرواد ممن شُغلوا بإعجاز القرآن الكريم وبلاغته ومعانيه ، كالخطابي والرماني والجرجاني ، فكانت ملحوظاتهم أشفّ وأشفى من كثير من ملحوظات المتأخرين ، وقد اتفق لهم في بعض المواقف نكت وظرائف لا يستكثر عليها الكثير من الثناء ولا يضيق ميدانها من الفضل عن واسع الإطراء .لكن هذه الشرعة الواضحة التي اختطها هؤلاء الرواد ، تناهبتها أقدام اللاحقين فامّحت ، وتخطفتهم بنيات الطرق . وفي ما يلي أمثلة دالة على حذف الأجوبة في القرآن الكريم ، واستعراض لمجمل الآراء في بعضها ، ثم عرض لرأي هذا البحث في شأنها :

ـ جواب إذا :

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(الزمر : ٧٣).أطال العلماء الوقوف عند هذه الآية، ولا سيّما أنها توضح حال أهل الجنة، بعد أن سبق توضيح حال أهل النار في السورة نفسها ، فقد ورد قبلها قوله تعالى في وصف وقوف زمر الكافرين على النار : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ... ﴾(الزمر : ٧١). فحظي الشرط هنا بالجواب ، وفُصل الخطاب.

لكن هذه الآية ـ مدار الحديث ـ حذف فيها جواب الشرط ، فتعاورتها أقلام النحويين والبلاغيين والمفسرين ، واشتجرت الآراء : [٣٧]

٣٧- ينظر مثلاً:
معاني القرآن، الأخفش،أبو الحسن سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ)، تحقيق فائز فارس،ط٢، ج٢ص٤٥٧،و المقتضب،المبرد، أبو العباس ، محمد بن يزيد(٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٦ـ١٣٩٩هـ، ج٢ص٣٥٧، و إعراب القرآن ، الزجاج، ج ١ص ٣٨، و النكت،الرماني ، ص ٧٦، و بيان إعجاز القرآن ، الخطابي، ص ٥١، و الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس، أبو الحسين أحمد (٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى شويمي ، مؤسسة أ.بدران للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٤٠، و إعجاز القرآن،الباقلاني، ص٢٦٢ـ،و سرّ الفصاحة،الخفاجي، ص ١٩٩،و الكشّاف ،الزمخشري، ج ٣ص٤١١ ، و الأمالي الشجرية ، ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي

ـ النار مغلقة ، ولا تفتح إلا حال وصول الكافرين ، أما الجنة فهي مفتوحة الأبواب على الدوام ، والواو في الجواب هي واو الحال .

ـ الواو مقحمة (واو الثمانية)، فهي زائدة ، وبذلك تخلص جملة﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾جواباً للشرط ، ولا حذف في الآية .

ـ الواو عاطفة ، لا زائدة . وجواب إذا محذوف .

وعلى مثل هذا فهم يقدرون جواب شرط محذوفاً ، فتتراسل التقديرات على شاكلة :

ـ حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها .

ـ حتى إذا جاءوها دخلوها . . .

ـ ويعترض آخر فيقول: لو قدر في موضع دخلوها « فازوا» لكان حسناً.

ـ ويرجح ثانٍ أن الجواب محذوف آخر الكلام ، كأنه قيل: في نهاية الأمر استقروا ، أو خلدوا .

ـ بينما يفضل ثالث أن يكون التقدير : حتى إذا جاءوها أُذن لهم بدخولها ، وعند ذلك فتحت أبوابها ؛ ذلك أن المجيء وحده ليس سبباً كافيا لفتحها ، ولا بد من الإذن حتى يتم الفتح .

=(٥٤٢ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٩هـ ، ج٢ ص٣٥٧ ، و الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ابن الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن محمد (٥٧٧هـ) ، نشرة محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، ١٩٩٣، ج٢ص٤٥٩ ،و البيان في غريب إعراب القرآن ،ابن الأنباري، ج٢ص٣٢٧، و التبيان في إعراب القرآن ، العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ، شركة عيسى البابي الحلبي ، ص٣٢٧ ، و الإيضاح ،القزويني ، ج ٣ص ١٨٨، و بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، عبد الله محمد ابن أبي بكر (٧٥١هـ) ، إدارة المطبعة المنيرية ، ج١ ص٢٠٨ ، و مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ١٢٨ ،وتفسير الجلالين،الجلالين، ج٦ ص٦ ،وفتح القدير،الشوكاني، ج٤ ص٤٧٨ .

ـ وتمضي آراء أخرى على مثل هذا النهج ساعية إلى حصر الأمر بجواب محدود ، ورد المحذوف المقصود المحلق في آماد للمعنى بعيدة إلى نهاية محكمة وطريق مسدود .

هكذا تناثرت آراؤهم أشلاء في شأن هذا الحذف ، فضاع الرشاد،أو كاد،وسط هذه المعمة من الاجتهاد، ولعله كان من الأجدى الالتفات إلى أن الحذف في مثل هذه المواضع أبلغ من الذكر، والاكتفاء بتلمس الآثار الهائلة الحاصلة عندما ينفك التركيب اللغوي من البناء العادي المألوف إلى بناء عاصف بالذهن ، مثور للخيال ..

إن صب الجهد على تلمس الآثار النفسية لهذا الحذف ،يجعلنا نقود زمام الأمر إلى وجهة أخرى :

لقد آمن المتقون في الدنيا بربهم ، وصبروا على طاعته طيلة حياتهم ، وهم يمنون النفس بالنجاة من نيرانه ، والفوز برضوانه ، وسكنت في مخيلاتهم الصور الخلابة لنعيم جنانه ، وها هم قد رأوا أهوال الحساب ، ونجحوا في الامتحان، وأقبلوا على الجنة ، ووقفوا على بابها ... فأي جواب يمكن أن يطيق وصف حالتهم النفسية ، وما يتصورونه في جنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؟

إن هذا التركيب (بشرط دون جواب) يناسب هذا المقام لاستثارة كل دواعي النفس لاستشعار النعيم الموعود ،وأي جواب يقدر ويفرض على هذا التركيب يضيق الخناق على خيال محلق ،ويحصر الأحلام العذبة التي تراود النفوس المشرئبة إلى جوائز الصبر والطاعة .

إنّه الحذف يأتي في مكانه ليغلف المقام كله بغموض لذيذ يطلق العنان لجموح

الخيال تطوف معه النفس الإنسانية على كل صورة للنعيم تشتهيها ،وتتنعم الروح بكل الأحلام التي تتوق إليها فتستدعيها.

هذا الغموض ذاته ، وما يترتب عنه من آثار نفسية هو ما نجده أيضاً في مثل قوله تعالى[٣٨] :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾ (الأنبياء : ٩٦، ٩٧).

في الآية الأولى قدروا الجواب ﴿ وَٱقْتَرَبَ ﴾ ،وجعلوا الواو زائدة ،كما هو الحال عندهم في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ . ونحن نرى كيف يطمس مثل هذا التقدير الآثار النفسية التي تشتعل في الصدور في غيابه،حيث الأهوال تنهال في فعل الشرط ، تقلقل القلوب ، وتزعزع النفوس ، فليبق الأمر مفتوحا ، وليغب الجواب الذي يضع للهول حداً ، ويغلق الباب .

وفي قوله تعالى[٣٩] :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ... ﴾(التوبة : ١١٨).

قيل : الجواب : رحمهم الله ثم تاب عليهم . وقيل : الجواب : تاب عليهم وثم زائدة . فهل هذا التقدير يسامت الحالة النفسية والمعاناة العنيفة التي مر بها أولئك النفر الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ، تخلت الدنيا كلها عنهم ، ولفظتهم

٣٨- ينظر : معاني القرآن ، الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زيد (٢١١هـ)، تحقيق احمد يوسف النجار، ط ٢،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠، ج ٢ ص ٢١١ ، و إعراب القرآن ، الزجاج ، ج ١ ص ٢٨ ، و الكشاف ،الزمخشري ، ج ٢ ص ٥٨٤ ، والتبيان ،العكبري،ص ١٦٦، و فتح القدير ،الشوكاني ، ج٣ص٤٢٧،٤٢٦ .

٣٩- ينظر: البرهان ، الزركشي، ج ٣ ص ١٩٠ .

الأرض بعد أن رفضهم الناس ، وسجنوا دواخل أنفسهم المعذبة الملتاعة ، ثم بعثوا من موتهم النفسي الساحق ، بعثتهم رحمة ربهم ، وتوبته تتنزل عليهم تغسل أرواحهم المروعة ، فما الجواب الذي يتحمل أن يكون جسراً يعبر بهم وبنا بين ما كانوا عليه قبل حصول التوبة ، وما آلوا إليه بعد نزولها ؟ وما الكلام الذي يستطيع وصف هذه الانفعالات والتعبير عن كل هذه المشاعر ؟

إن تركيبا يقوم على عماد شرطي منطقي (سبب ونتيجة) قد يذهب الكثير من رواء الكلام في هذا المقام . دب اليأس في نفوس هؤلاء النفر ،فتشربوه مع أنفاسهم ،واستسلموا لعذاباتهم ،فإذا رحمة الله تنهال عليهم دون موعد ، ودون قيد ،ودون شرط . ألم يقل الرحمن الرحيم :﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الأعراف :٥٦). وهكذا جاء التركيب القرآني لوحة فنية نفسية يتحدد بهاها للمتبصر،وتشف عن أدق المشاعر لكل متدبر.

وفي قوله تعالى[٤٠] :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ (الانشقاق : ١ـ ٦).

لمع برق الشرط في أول هذه السورة ،فانطلق القوم يبحثون عن الجواب، ويطرقون في سبيل ذلك كل باب . فقيل :

- الجواب محذوف وتقديره : قامت القيامة ،أو يرى الإنسان الثواب والعقاب ،أو لقي الإنسان الشدائد والأهوال .

٤٠- ينظر : إعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ ص ٢٧ـ ، و الكشاف ، الزمخشري ، ج ٣ ص ٢٣٤ ، و الإنصاف ، ابن الأنباري ، ج ٢ ص ٤٦٠، و البرهان ، الزركشي ، ج٣ ص١٨٩، و فتح القدير، الشوكاني ،ج٥ص٤٠٥ ،و صفوة التفاسير ،الصابوني،ج٣ص٥٣٧.

- وقيل الجواب محذوف تقديره مصرح به في سورتي(التكوير،١٤ والانفطار،٥)﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾

- وقيل الجواب ﴿ وَأَذِنَتْ ﴾ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (الانشقاق :٥). وتخلصوا من الواو فجعلوها مقحمة ، واعترض بعضهم بأن هذا لا يجوز ،فلم يعهد زيادة واو في الجواب.

- وقيل : الجواب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ (الانشقاق:٦) . وتنبهوا الى عدم وجود فاء في هذا الجواب فقدروها مضمرة .

- وقيل : الجواب : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الانشقاق:٧) .

وهكذا نراهم يجوبون الآفاق قلقين لا يهدأ لهم بال إلا بخلق جواب للشرط، يجعلونه من ألفاظ السورة نفسها ،أو من سورة غيرها بعد أن يضطروا إلى تجاوز الكثير من العقبات التي تعترضهم لاستيفاء لوازم الصنعة النحوية ،فيجعلون بعض الحروف زائداً، وبعضها محذوفاً ،فيغفلون بذلك عن تلمس الآثار النفسية للحذف ،لأنهم حريصون على الوفاء بمتطلبات النحو ،ماضون في استقصاء عوامله ومعمولاته .

وليتهم تريثوا وتأملوا في الأهوال التي أطلت منذ الآية الأولى في هذه السورة ،وتتالت ،فتقاطرت صور تهز الأعماق في وصف يوم القيامة وأهوالها ، تلوح في ثنايا ذلك صورة الإنسان البائس يكدح مكدوداً في درب لاحب نهايته محكمة ومحتومة بين يدي الرب المحاسب :

حذف الجواب لتذكى شعلة الخيال في استكمال مشاهد تلك الأهوال ، والبطش بالنفس الإنسانية للمسارعة إلى الانصياع والطاعة قبل فوات الأوان .

ـ جواب إن :

قال تعالى[٤١] :

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ .... ﴾ (الأنعام :٣٥).

في هذه الآية جعلوا جواب« إن » محذوفا ،وقدروه بـ : افعل ،وقرروا أن هذا ما تفعله العرب في كل موضع فيه معنى الجواب .

ولو تجاوزنا الحذف هنا لعلم المخاطب ،وتلمسنا الآثار النفسية الناجمة عن هذا الحذف ،لتفهمنا أن هذا الرب الرحيم لن يكلف أحب عباده إليه ،رسولنا الكريم ، باجتراح معجزات ،فهو الذي خلقه، وهو الأعلم بقدراته ،فهل يكلفه بالمستحيلات ؟

إن الرسول الكريم محاصر بالحزن ، قد أشقاه إعراضُ قومه ، وانفطر قلبه وجداً عليهم ، فأشفق عليه ربه، وأراد أن يسرّي عنه ، أو يريحه باليأس ، فالأمر ليس بيده ، ولو انتفق الأرض ، أو اخترق السماء .حذف الجواب ، وأفسح للنفس هذا المدى الممتد بين أعماق الأرض وآفاق السماء لتتخيل محاولات يائسة يقوم بها جادّ شفوق مخلص ، يسعى جهده ولا تستقيم له المقاصد في مواجهة معارض جاحد معاند .

وقال تعالى[٤٢] :

٤١- ينظر في أمر هذه الآية : معاني القرآن ،الفراء ، ج١ص٣٣١- ،و إعراب القرآن ، الزجاج ، ج ١ ص ٢١، و الكشاف ، الزمخشري ، ج٢ ص١٥ ، و التبيان ،العكبري ، ج ١ ص٤٩٢ ، و الإتقان ، السيوطي ، ج٣ ص ١٩١ ، و تفسير النسفي ،النسفي ، ج٢ص١٠.

٤٢- ينظر: الكشاف ،الزمخشري ، ج ٣ ص ٥١٨ ، و الإيضاح ، القزويني ، ج ٣ ص ١٨٨ ، و مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٨٥٠.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ .... ﴾ (الأحقاف : ١٠).

لا يظهر جواب ﴿ إن ﴾ في الآية ،فقدروا : «كيف يكون حالكم» ؟ واستهدى بعضهم بآخر الآية وهو قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾،فقدر الجواب : ألستم ظالمين ؟

هكذا يقدرون ،بينما التأثير النفسي معلق بمحذوف قد يبطله مثل هذا التقدير؛فالكافرون في شقاق دائم ، يعاندون ، ويكابرون ، ويصرون على أن القرآن ليس من عند الله ، فينفتح أمامهم سؤال في جوابه احتمال ، احتمال يقمع كبرهم ، ويفضح كفرهم ، ويترك نفوسهم صرعى الحيرة والحسرة ؛ إذ كيف يكون حالهم إن كان القرآن من عند الله على خلاف ظنونهم وهم سادرون في غيهم ؟

حذف الجواب ليسع أنواع التبكيت النفسي والألم حيث لا ينفع الندم .

ـ جواب لو :

حذف جواب لو من سنن العربية فهو «كثير شائع »[٤٣] ،

وهو من «ألطف ضروب الإيجاز وأحسنها»[٤٤] ،

وهو من «محاسن الإيجاز ومواقعه البديعة «[٤٥] .

وكثيراً ما يقع في القرآن الكريم حذف هذا الجواب في مشاهد زاخرة بالهول والعجب ، وغالبا ما يكون فعل الشرط «ترى » أو «يرى» .

٤٣- المثل السائر ،ابن الأثير ، ج ٢ ص ١٠٠ .

٤٤- المصدر نفسه ص ٩٩ .

٤٥- الطراز ، العلوي ، ج ٢ ص ١١٤ .

وتكفي الإشارة إلى أن ذلك ورد في سورة الأنعام وحدها ثلاث مرات [٤٦]:

- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ... ﴾ (الأنعام : ٢٧)
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ... ﴾ (الأنعام : ٣٠)
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ... ﴾ (الأنعام : ٩٣)

في مثل هذه الآيات يقدرون جوابا محذوفا ،مثل : لرأيت منظرا هائلا ،أو لرأيت عجبا ،أو أمرا عظيما أو شنيعا أو منظرا هائلا ..... الخ ، فأين هذا التقييد للجواب ،وحصر الاحتمالات من إطلاق العنان للنفس وخيالاتها في رحلة لا تنتهي من الإبهام والغموض والرهبة عند حذف الجواب ؟

وقع الحذف في مثل هذه المواضع إيذانا بأن الجواب أمر مهول عصي على الإحاطة ، وترك للنفس فضاء الخيال لتمثل الصور التي تدق عن الوصف ويتقاصر دونها اللفظ .

ومن هذا قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة : ١٦٥).

إنها لحظة الحساب بعد صبر طويل ، وساعة العقاب بعد الإمهال ، إنها الأهوال المنتظرة ، إنها مرارة اليقين الصادق بعد أفاويق التكذيب . فأي كلام يكون نداً لها يتسع لتصويرها ؟ ولماذا نرسم لها الحدود ؟ فلتبقَ ميداناً لا نهائيا يسبح فيه النظر ليرتد حسيراً ، ويسرح فيها الخيال ليعود كليلا ، ولتشق النفس مشدوهة

٤٦- ينظر في هذه الآيات : الكشاف ، الزمخشري ، ج٢ ص ١٢، ٣٦ ،و تفسير النسفي ،النسفي ،ج٢، ص٢٣، ٨ ،وتفسير الجلالين ،الجلالين، ص١٦٦، و فتح القدير، الشوكاني ، ج٢ ص١٠٨ ،١٠٩ ،١٤٠ ،و صفوة التفاسير ،الصابوني ،ج١ ص٣٨٥ . وهناك أمثلة كثيرة أخرى ، ينظر المصدر نفسه ج ١ ص ٣٢٦، ج ٢ ص ٣٦، ١٦٣، ج٣ ص ٢٤٢ .

تفكر في ما لا يحيط به تفكير ، ولا يخطر على بال ، ولتذق عذابا مخيفا مما لا تفهم له كنها ، أو تدرك له تعريفاً .

ومن الأمثلة التي يبدو فيها الأثر النفسي جليّاً في حذف جواب لو، قوله تعالى[٤٧] :

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(الرعد : ٣١).

منذ أن وقف الخطابي على هذا المثال ، وعلق على حذف جوابه بأنه أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب ، منذ ذلك ، والمثال يتكرر في معظم الكتب البلاغية اللاحقة ، ويتكرر معه أحيانا تعليق الخطابي عليه .

لكن الاختلاف كان يبدو في تقدير الجواب المحذوف ، فكثيرون يقدرون : لكان هذا القرآن .

وبعضهم يرى ذلك مردودا لأن سياق الآية لم يأت لتفضيل القرآن ، بل سيقت في معرض ذم الكفار ، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية :

﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد :٣٠) ويرى هؤلاء أن تقدير الجواب المحذوف بـــ : «لما آمنوا « أفضل

٤٧- ينظر في شأن هذه الآية :
المقتضب، المبرد ، ج٢ص٣٦٤، وجامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ)، دار الفكر،١٩٨٤ ،ج ٧ص ٤١٣ ، و إعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ ص ٢١ ، و النكت ،الرماني ، ص٧٦، و بيان إعجاز القرآن،الخطابي، ص٥١،والصاحبي،ابن فارس ، ص ٢٤٠ ،و الصناعتين،العسكري ، ص٢٠١، و إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص٢٩٤،١٤٢،و سر الفصاحة ،الخفاجي، ص ١٩٨ ، و الكشاف ،الزمخشري ، ج٢ص٢٨٣، ٣٦٠،والآمالي الشجرية، ابن الشجري ، ج ٢ ص ٣٥٧، و الإنصاف ،الأنباري، ج٢ ص ٤٦٠ ، و التبيان ،العكبري ، ج ٢ ص ٧٥٨ ، و المثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ ص ١٠١ ، و الإيضاح ،القزويني، ج ٣ ص ١٨٧ ، و البرهان ،الزركشي، ج ٣ ص ١٨٣ ،والجلالين،تفسير الجلالين، ص٣٢٦ ،و صفوة التفاسير ،الصابوني، ج٢ ص٨٣ .

للمعنى وأفعل.

وقال بعضهم إن تقدير الجواب : لو قضيت أنه لا يُقرأ القرآن على الجبال إلا سارت، ورأى الكافرون ذلك عياناً لما آمنوا .

وقال آخرون : الجواب مقدم ، وهو قوله تعالى :

﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ هكذا تراهم جاهدين يجوبون الآفاق لرد محذوف تتجلى البلاغة في مجافاته والتغافل عنه .

والأولى أن نتمعن في ما ينجم عن هذا الحذف من تداعيات نفسية . لقد حذف الجواب ، إذ يتعالى القرآن الكريم ، ويتعالى ، فتتقاصر دون وصفه العبارات ، وينفتح الفضاء أمام النفس رحباً لتتخيل عظمة هذا القرآن قد طاعت له الجبال الرواسي فسيرها ، وردت به الأرواح إلى الموتى في قبورهم فكلمهم. فأي جواب بعد هذا يحمل عبء وصف هذا القرآن ، أو يقوى على الوفاء بحقه؟

ويبدو مثل هذا الأثر النفسي أيضاً في قوله تعالى[٤٨] :

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (هود :٨٠)

كسحو طير تقف بعض كتب معاني القرآن، وتفسيره، وإعرابه على هذه الآية:

فالفراء يكتفي بتوضيح معنى الركن الشديد بأنه العشيرة .

والأخفش يكتفي بالقول: (وأضمر لكان) ، والزجاج (لالتجأت إليه)، والزمخشري (لفعلت بكم وصنعت) ، والزركشي (لحلت بينكم وبين

٤٨- ينظر : معاني القرآن ،الفراء ، ج٢ ص٢٤ ،و معاني القرآن ، الأخفش ، ج٢ ص ٣٥٧ ، و إعراب القرآن،الزجاج ، ج ١ ص ٣٠ ، و الكشاف ، الزمخشري ، ج ٢ص ٣٦٠،٢٨٣ ، و المثل السائر ، ابن الأثير، ج٢ ص١٠١، و الطراز ، العلوي ، ج ٢ ص ١١٥،و البرهان ، الزركشي ، ج ٣ ص ١٨٦ ،و صفوة التفاسير ،الصابوني ، ج٢ ص٢٧.

المعصية)، وحتى الصابوني (لبطشت بكم) .

فأين تجليات الآثار النفسية في هذا الموقف العصيب ،حيث تتراءى لنا هنا صورة سيدنا لوط عليه السلام ، تذهب نفسه حسرات لهوانه أمام جبروت قومه وفحشهم ، هم يفضحونه إذ يراودونه عن ضيفه ، وهو يستكين لهم ،ويتلاطف معهم ،فيعرض عليهم نهج الحلال ويزين لهم الزواج ببناته أو بنات قومه ، فلا يزيدهم ذلك إلا عتيّاً واستكباراً ، فينهش كبده الشعور بالهوان ، الهوان العظيم الذي ملك عليه أنحاء قلبه فأنساه – وهو النبي الكريم – أنه في حمى ربه ، وفي ظلال قوته وجبروته . فأين الجواب الذي كان يكفيه ليشفي غليله، وينتقم لعذابه، ويثأر لروحه من قاهريه ؟

ـ جواب لولا :

وقع حذف جواب لولا في القرآن الكريم في مواضع عديدة ،كان بعضها مثاراً لكثير من الاجتهادات والتخريجات ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف: ٢٤).

أثارت هذه الآية اختلافات كثيرة ، ليس لأن جواب لولا محذوف فيها وحسب ، بل لأن الأمر يتعلق بعصمة الأنبياء ، فتراسلت في شأنها الآراء : [٤٩]

ـ جواب لولا محذوف ، وتقديره لواقعها ، أو لخالطها .

ـ هذا رأي مردود ؛ لأنه يقر بأن سيدنا يوسف عليه السلام قد هم بالفاحشة، وما ذاك خليقا بنبي .

٤٩- ينظر في شأن هذه الآية : إعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ ص ٣٦، و الكشاف ،الزمخشري ، ج ٢ص٣١١، و الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٢هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ج ٩ص ١٦٩، و البرهان ،الزركشي ، ج ٣ص ١٨٥، و تفسير النسفي، النسفي ، ج٢ ص٢١٧ ،وصفوة التفاسير،الصابوني ، ج٢ ص٤٧ ،و في ظلال القرآن ،سيد قطب ، ج١٢ ص٧٠٨- .

ـ الهم المقصود لم يكن بالفاحشة ، وإنما بضرب التي راودته وإبعادها .

ـ الهم لم يقع من سيدنا يوسف ، فالتركيب يقوم على التقديم والتأخير ، والمعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

ـ ويشير بعضهم إلى أن تجاوز الصنعة النحوية في مثل هذا المقام أولى من الالتزام بها، فإن كانت تلك الصنعة تقضي بأن أدوات الشرط لها الصدارة ، ولا يجوز تقديم جوابها عليها ، فإن هذا الموضع يفرض إغفال ذلك ، إذ الصنعة هنا مفسدة للمعنى . ودرء المفاسد أولى ...

وهكذا يتبين لنا كم كان القوم يشقون وهم حائرون بين مستلزمات الصنعة، ومتطلبات المعنى أحيانا!

ولو أنهم وصلوا بنا إلى قرار إليه نهدأ ، وفيه نطمئن لكان خيرا ، أما وقد تعذر ذلك فلعل الأولى أن نرتد بالرضا إلى القناعة بأن القرآن ذلول ، وأن بعض التراكيب فيه جاءت بالحذف لتستنهض مواطن التفكير ، وتهدف إلى المزيد من التأثير ، وبخاصة في مثل هذا الموقف العظيم حيث يتبدى الضعف الإنساني ، وعصمة النبي .

حذف الجواب حتى تهيم النفس وتجول في أجواء الموقف تفكر في البرهان الذي رآه سيدنا يوسف عليه السلام ، وفي نتيجة محذوفة كان يمكن أن تقع لولا أن لاح ذلك البرهان .

لكن حريّ بنا في مثل هذه المواضع أن لا نقع فريسة الظن بأن القرآن الكريم يتصيد الإعجاز والإلغاز ، فالله تعالى « لم يرض لنظم كتابه ـ الذي سماه هدى وشفاء ونورا وضياء وحياة تحيا بها القلوب ، وروحا تنشرح عنه الصدور ـ ما هو عند القوم الذين خوطبوا به خلاف البيان ، وفي حد الإغلاق والبعد عن التبيان،

وأنه تعالى لم يكن ليعجز بكتابه من طريق الإلباس والتعمية ، كما يتعاطاه الملغز من الشعراء ، والمحاجي من الناس ، كيف وقد وصفه بأنه عربي مبين ؟ » [٥٠]

بل الأمر في مثل هذه المواضع لا يخرج عن كونه غلالات رقيقة تكتنف المعاني ، تشحذ الذهن ، وتقدح زناد الفكر ، وتمتع النفس بكشف تلك المعاني الخبيئة ، واستخراج مكنوناتها ، ليتحقق بذلك فيض زاخر من التأثير النفسي ، هذا التأثير النفسي الموعود هو ما نجده في الحذف المقصود في موضعين مؤثرين وردا في سورة النور ، تلك السورة التي رفعت السوء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وعطرتها بطهر سماوي بعد أن زلزل قلبها ،وقلب الرسول عليه الصلاة والسلام، وقلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه،وقلوب معظم المسلمين جراء حادثة الإفك المشؤومة،فاستثمر القرآن الكريم هذه الصاعقة ليربي المسلمين تربية صادقة للتروي في إشهار الاتهام ، والتثبت قبل إصدار الأحكام المتعلقة بالأعراض حفاظا على سلامة الأسر ، واستقامة المجتمع .

فحذف جواب لولا في آخر آية التلاعن ، حيث قال تعالى : [٥١]

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور :١٠) .

وحذف كذلك في آية لاحقة عالقة بالموضوع نفسه في السورة نفسها ، وذلك قوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٠).

٥٠- أسرار البلاغة ، الجرجاني ، ص ٣٩٤.

٥١- ينظر في هذه الآية ، والآية التي تليها : معاني القرآن ، الفراء ، ج ٢ص ٢٤٧، و الثعلبي ، العسكري، ص ٢٠١، و الكشاف ،الزمخشري ،ج٣ص٥٢ـ ،و الإنصاف ، ابن الأنباري ، ج٢ص٤٦٨ ،والبيان غي غريب إعراب القرآن،ابن الأنباري ، ج٢ص١٩٤،١٩٣، والتبيان،العكبري ، ص١٩٣ ، و المثل السائر،ابن الأثير ، ج ٢ص١٠٢ ، و البرهان ،الزركشي ، ج ٣ص١٨٧ ، والإتقان ،السيوطي ، ج٣ ص١٩١ ،وصفوة التفاسير،الصابوني ،ج٢ص٣٣٠ .

في هذين الموضعين يقدرون جوابا محذوفا لعلم المخاطب ،ويقدرونه من شاكلة : لهلكتم ، أو لم يبق لكم باقية ، أو لفضحكم.....الخ .

ولنتأمل ما الذي تفعله مثل هذه التقديرات برونق البلاغة ،وكيف تخمد التأثير النفسي . وكان الأولى – كما هو الواقع – أن تبقى العبارة حرة دون تقييدها بجواب ، فالأمر جلل ، وغضب الله المخيف قد حجبه ستار شفيف من التوبة والرأفة والرحمة ، لكنه حاضر قد شفّ عنه هذا الحذف اللطيف لجواب لولا ، فبقي ماثلا مقيما في نفوس ترتعد من تهديد مفتوح على المدى لا حدّ له ، ولا رادّ .

ـ جواب لمّا :

قال تعالى[٥٢]:

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الصافات:١٠٣ـ ١٠٥).

هذا موضع حذف فيه جواب لمّا ، فجدّ علماء اللغة في البحث عن مخرج، فقدّر بعضهم أن الجواب هو قوله تعالى :﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ ﴾ ، واعترضتهم الواو ، فاستحضروا أساليب العربية ليجدوا أن العرب تدخل الواو في جواب فلما ، وحتى إذا ، وتلقيها ، واستدلوا بآيتي الزمر السابقتين حيث جاء الجواب بالواو في إحداهما ، ودون الواو في الثانية ، وكلّ صواب .

وفزعوا إلى القراءات ليعززوا رأيهم بإحدى القراءات لقوله تعالى :

٥٢- ينظر في الآراء اللاحقة حول هذه الآية :
معاني القرآن ، الفراء ، ج٢ ص ٣٩٠، وإعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ص٢٧،و الكشاف ،الزمخشري، ج٣ ص ٣٤٨،و البيان في غريب إعراب القرآن،ابن الأنباري، ج٢ص٣٠٧، و التبيان ، العكبري، ج٢ ص ١٠٩٢، و المثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ ص ١٠٢، و الطراز ،العلوي ، ج٢ ص ١١٣ـ ، و البرهان ،الزركشي ، ج٣ ص ١٩١.

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ .. ﴾(يوسف : ٧٠).

بل استعانوا بالشعر لينصرهم امرؤ القيس في أحد أبيات معلقته ،لكن الزمخشري عزف عن كل هذا، والتفت إلى دواعي هذا الحذف وآثاره ، فبيّن أن اللفظ يتصاغر أمام ما تنطق به الحال ، ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله على ما أنعم عليهما[٥٣] ....

ويبدو أن هذا قد راق لابن الأثير[٥٤] فعلق على هذا الحذف فردد ما قاله الزمخشري حرفا إثر حرف رغم ما عرف عنه في كتابه من اعتداده الزائد بنفسه، وردّه بعض آراء سابقيه ومنهم الزمخشري نفسه .

ومع ذلك ، فإن هذا الالتفات إلى الأثر النفسي في مثل هذا الحذف هو الأولى ، فالموقف عاصف بالعواطف ، إنه الابتلاء الأعظم ، والامتحان الأضخم: سيدنا إبراهيم عليه السلام ، يلبّي نداء ربه فيعزم على ذبح ابنه بيده ، والذبيح البار يطيع أباه ، ويحثه على الطاعة وتنفيذ الأمر،ويطمئنه بأنه قادر على الاحتمال متسلح بالصبر .

وانبرى الكون كله يرقب المشهد الأليم ، ولاح العزم الصادق لحظة التنفيذ، لكن تنزلت الرحمات من الرحمن الرحيم .... فأي جواب يستطيع أن يمتد ليضم بين حروفه وصفاً كافياً لهذا الموقف الطافح بالإيمان والطاعة والعزم والصبر والألم والتسليم ... ؟

تُرك الجواب لتملأه النفس الإنسانية تأثراً وانفعالاً ودهشة وانبهاراً ولهفة وغبطة واستبشاراً .

٥٣- الكشاف ،الزمخشري، ج٣ ص ٣٤٨.

٥٤- المثل السائر،ابن الأثير ، ج٢ ص ١٠٢.

وشبيه بهذا حذف الجواب في قوله تعالى : [٥٥]

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ... ﴾(يوسف : ١٥).

إنها قسوة الإنسان يئن تحت غيرة تأكل الأكباد :عصبة من الأخوة يحتالون على أبيهم،ويزينون لقلبه المسكون بالخوف، السماح لهم باصطحاب أخيهم الصغير معهم ليرتع ويلعب وهم له حافظون ، وها هم قد تجردوا من الرحمة والإنسانية ، وعزموا على إلقائه في غيابة الجب ... فأين الجواب الذي يطيق أن يصف مشاعر الرغبة والرهبة والغيرة والقسوة تصارع طفولة طاهرة بريئة ؟

حذف الجواب لتطوف النفس عبر هذه المشاعر ، وبقي موضع الحذف فارغا لتملأه كل نفس إنسانية تشعر بمرارة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

وتجلى الحذف ناطقاً وهو صامت،وشاهداً شاخصاً وهو غائب،يحكي الفاجعة المروعة عبر الزمان...

ـ جواب القسم :

ورد جواب القسم محذوفاً في العديد من المواضع في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

ـ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ..... يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ (النازعات :١ـ ٦) .

ـ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾(ص١ ـ ٢) .

وكذلك الحال في : أوائل سور ق ، والذاريات ، والفجر ، والبروج ....

٥٥- ينظر: إعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ ص ٢٨ ، و الكشاف ،الزمخشري ، ج٢ ص ٣٠٧ ،وتفسير النسفي ،النسفي، ج٢ ص٢١٤ ، وتفسير الجلالين ،الجلالين ،ص٣٠٤.

في مثل هذه الآيات ، ورد قسم ، ولم يردْ له جواب ، فكثرت الاجتهادات والتقديرات :[٥٦]

فقيل ، مثلاً، جواب القسم في سورة النازعات تقديره﴿ لَتُبْعَثُنَّ ﴾، واستدل على ذلك بإنكارهم البعث: ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾(النازعات:١٠)، وقيل:الجواب:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (النازعات:٢٦)

ولتوضيح مدى إصرارهم على تقدير جواب ،والحيرة الغلابة التي تنتابهم يكفينا عرض رأي الأخفش إذ يقول : فأقسم - والله أعلم - على ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ . ثم جرفه التردد فأعاد الدفة إلى القارئ ،وترك له الاختيار ،فقال: إن شئت جعلته على ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ .... قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ . ثم تنبه الى عدم وجود لام في جواب القسم ، فاحترز قائلا : إن شئت جعلته على : والنازعات ليوم ترجف الراجفة ،فحذفت اللام ..... الخ .

وفي جواب القسم في « ص» قيل : إنه محذوف تقديره : إنه لمعجز .

وقيل : إنه ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ (ص: ٣).

وقيل :﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ (ص: ١٤) .

وجعله بعضهم متأخراً جداً في الآية ٦٤ من السورة : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾، واستبعد ذلك آخرون .

٥٦- ينظر :
معاني القرآن ،الفراء، ج٢ ص٣٩٦ ، وج٣ ص ٢٣١، و معاني القرآن ،الأخفش ، ج٢ ص ٥٢٦، والمقتضب ،المبرد ، ج٢ص٣٥٥،و النكت،الرماني، ص١٠٥،و الصناعتين،العسكري، ص٢٠٣ ، والكشاف، الزمخشري، ج٣ص٣٥٨ + ج ٤ص ٢٣٧،٣، و الأمالي الشجرية،ابن الشجري، ج ١ص ٣٥٥، و التبيان ،العكبري، ج٢ ص١٠٥٦ ،١٢٨٠ ، و المثل السائر ،ابن الأثير ، ج٢ص ٩٩ ، و مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص٨٤٧ ،و البرهان ، الزركشي ، ج٣ص١٩٢، ١٩٧،و تفسير الجلالين ،الجلالين، ص٥٩٨ ،٧٨٩ ،وفتح القدير، الشوكاني، ج٤ ص٤١٩ ، و صفوة التفاسير،الصابوني، ،ج٣ ص٥١٣،٥٠.

وقرّبه بعضهم ليجعله تالياً ملابساً للقسم،وهو قوله تعالى:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ (ص:٢).

لكنهم اصطدموا بأن ﴿ بَلِ ﴾ تفيد الإضراب ؛ أي نفي ما مضى ، فمضوا يفكرون في حُسن تخلّص ،

ليهتدوا أخيراً إلى أنّ ﴿ بَلِ ﴾ تفيد التوكيد ؛ ذلك أنها لما كانت متضمنة رفع خبر(بمعنى نسخه) وإتيان خبر بعده ، كانت أوكد من سائر التوكيدات ، فحسُن لذلك وضعها موضع إنّ .....

وفرّ بعضهم إلى الحرف الذي ابتدأت به الآية « ص » ، فرأى أنه بمعنى وَجَبَ، أو نَزَل ، أو حقّ ، وهي بذلك جواب القسم قد تقدّم . والمعنى : وَجَبَ والقرآن، كما تقول حقّ والله....

هذه بسالة في الدفاع عن النمط المثالي للتركيب اللغوي ، لكن للبلاغة قانونها الخاص بها ، والقرآن الكريم هو مثالها الذي لا يُدانى ، وحذف الجواب في مثل هذه التراكيب القرآنية شعبة بلاغية مثالية ، هدفها ، أيضاً،التأثير البالغ في النفوس ، فلا شك أنّ الحذف في هذه المقامات أبين كثيراً من الذكر؛

فهنا إله عظيم جبار ، كل ما حولنا ناطق بعظمته ، شاهد على جبروته وقوته، لكن كثيراً من القلوب الغلف تنكر ذلك وتتجرأ على معصيته ، فيواجهها هذا الرب العظيم بالقسم في هذه المواضع ، ويأتي الأسلوب دون إجابات ، وتتحول النفس إلى أشتات تتشظى في حضرة هذا الهول ، فما الذي أغضب هذا الرب القهار، وجعله يلجأ إلى القسم ؟ فتتداعى الاحتمالات ، وتعتري النفوس مشاعر عظيمة من الرهبة والهلع ، فيتخاذل أمام هذا الحذف كل ذكر ، ويتضاءل أمام هوله كل هول .

وليس أدل على تحقيق غاية الحذف في هذه المواضع من انشعاب النحاة والبلاغيين والمفسرين طرائق قددا،هائمين،كل قد دهمه هذا الحذف،فمضى لا يلوي على شيء يبحث عن قرار لنفسه بإيجاد جواب ، لكن هيهات !.

ـ جواب الطلب :

يلوح في بعض الآيات فعل أمر معلّق بجواب ، لكن سياق الآية يتجاوز الجواب المنتظر ، لينقلنا إلى ما يبدو نتيجة له ، وأثرا من آثاره . يقول تعالى :

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾ (النساء : ١٧٠) .

ـ ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾ (النساء :١٧١) .

ـ ﴿ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡ ﴾ (التغابن :١٦) .

في مثل هذه الآيات تكثر التقديرات والتأويلات : (٥٧)

ففي قوله تعالى ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾ دارت مساجلات كثيرة منها :

ـ فئة ترى أنّ ﴿ خَيۡرٗا ﴾ صفة لمصدر محذوف ، أي انتهوا انتهاءً خيرا لكم .

ـ أثار هذا فئة أخرى فأغلظوا القول لأصحاب هذا التقدير ، لأن فيه شوائب كفر ؛ إذ كيف يؤمر المخاطبون باختيار الانتهاء الذي يروقهم ويكون خيرا لهم ؟

٥٧- ينظر :
الكتاب ، سيبويه ، ج ١ص٢٨٢ ، و معاني القرآن ، الفراء ، ج١ ص٢٩٥ـ، و معاني القرآن ، الأخفش، ج١ ص٢٤٩ ، و إعراب القرآن ، الزجاج ، ج١ ص ١٩ـ، و إعراب القرآن ،النحاس ، ج١ ص٤٧٥، و مشكل إعراب القرآن ، القيسي ، ج١ص ٢١٤،والكشاف ،الزمخشري ، ج١ ص ٥٨٤ ، و الجامع ،القرطبي، ج٧ ص٢٣ ،و تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ج١ ص٧١٧ ،وتفسير النسفي،النسفي، ج١ ص٢٦٤ ،٢٦٥، و تفسير الجلالين، الجلالين،ص١٣٢ ،١٣٣ ، وفتح القدير،الشوكاني ، ج١ ص٥٤١،٥٤٠، و ج٥ ص٢٣٩.

ـ فئة ثالثة تقدّر فعل أمر معطوفاً على ﴿ ٱنتَهُواْ ﴾ ، فيكون التقدير :

انتهوا وائتوا خيرا لكم ، وتتسلح بالمنطق لتسوّغ هذا التقدير فتبين أنه لما وقع نهي عن شيء ، علم ضمناً وجود أمر بضدّ هذا الشيء المنهيّ عنه ، لأن النهي تكليف ، وتكليف العدم مُحال ،فلا بد من الالتزام بأمر موجود ينافي المنهيّ عنه، فساغ بذلك تقدير الأمر ﴿ ٱئْتُواْ ﴾ ليستقيم المعنى .

ـ وقد غلب عند كثيرين تقدير جواب شرط محذوف ، لتكون النتيجة : انتهوا يكن خيراً لكم .

والمتأمل في هذه التقديرات قد يروق له هذا الحرص على الاستقامة الشكلية للتركيب اللغوي ، لكن يروعه الإصرار على ذلك ، وإغفال قيمة الحذف ، ودواعيه ، وآثاره ، ومواطن اللطف فيه ،ويتعاظم الهمّ لديه عندما يقع أصحاب البيان والتفسير أسرى ذلك الإصرار ، فهم عبر إبحارهم العظيم في مهمتهم النبيلة لتفسير القرآن الكريم ، والإلماع إلى بلاغته وإعجازه ، ـ كثيرٌ منهم ـ قد تدانوا بعد تحليق ، وجافوا ألطاف المعاني في التركيب ، وكبّلوا أنفسهم بقيود صناعة النحو، وفي هذا المثال المعروض إشارة واضحة إلى المقصود ؛ فهذا الجزء من الآية القرآنية الكريمة مبني على إيجاز محمود ، فثمة تهديد خاطف يشع من فعل الأمر ﴿ ٱنتَهُواْ ﴾ ، وبرق إشعاعة يوضح عقبى الطاعة في قوله تعالى ﴿ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ .

وكان أولى بالمفسر أو البياني أن يفتق أكمام الجمال في هذا التعبير ، ويسعى إلى تحرير تحليله من صناعة النحو التي تقهر المعنى، وتطغى عليه أحياناً بافتعال التأويل والتقدير[٥٨] .

٥٨- التفت بعض حذاق النحاة إلى ما يقع من تجاذب أحياناً بين المعنى والصنعة النحوية ، فحاولوا اشتراع منهج للمعرب يؤمنه العثار ، ويسعفه في النهوض بمتطلبات صنعته النحوية دون إغفال المعنى .

فإن كان للنحويّ بعض عذر عندما يشخص أمامه معمولٌ منصوب ، فيهب فزعاً باحثاً عن عامله ، ويظن نفسه بذلك مضطلعا بمهمته وفيا لصنعته، ويطلق كل الجياد لجلب الشوارد تحت وقع السياط ؛ إن كان للنحوي بعض عذر في هذا ، فمن عذير المفسر والبياني عندما يخوض كل منهما في ذلك ؟ وما الذي يضير أيّا منهما إن ترفع عن الانزلاق في مثل هذه المسالك المشكلة ، وأوكل الأمر إلى أهله، ومضى هو مصعداً ملتفتاً إلى سحر البيان في بنيان اتحد فيه الطلب وجوابه ، فما أن لاح الطلب ترهيباً حتى حذف الجواب وغاب ، ولم يبقَ منه في التركيب إلاّ آثاره وثماره ، تحفيزاً لسرعة الاستجابة ، وتأميلاً في الاستمالة ، وتأثيراً بالغاً في النفس، وهو، من قبل ومن بعد ، محط العناية ومناط الرعاية .

=ينظر : الخصائص ، ابن جني ، ج٣ص٢٦٠ ، و مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٦٨٤ ـ .
وينظر- في التفريق الواعي بين جهد النحوي والبياني ـ ، تعليق الزمخشري على قوله تعالى :﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ ﴾ (الإسراء : ١٠٠)، الكشاف ، ج٢ ص ٤٦٧، ٤٦٨.

الخاتمة

يمكن استثمار هذا البحث للخلوص إلى ما يلي :

- ورد في كثير من الآيات القرآنية الكريمة أساليب للشرط و القسم و الطلب دون جواب. ويتبين لمن يتمعن أن في غياب هذا الجواب شحذاً للتدبر و التفكير، و شحناً للتأثر والتأثير .

- وقف علماؤنا القدماء « النحاة و البلاغيون و المفسرون » على هذه المواضع ، وكثيراً ما كان ينصب اهتمامهم على تقدير الجواب المحذوف في هذه الآيات، و ردّه – كرهاً – إلى وِرده ، ووقعوا جرّاء ذلك في كثير من الاختلافات و التناقضات ، و جعلوا وكدهم في استجلاب العوامل والمعمولات، متكئين – غالباً– على هشاشة تعليل، أو تهافت دليل .

- إن كان للنحاة بعض عُذر في الانزلاق إلى تغليب القاعدة على المعنى أحيانا، انصياعاً لصنعتهم النحوية ، فمن عذير البلاغيين و المفسرين الذين خاضوا في ما خاض فيه النحاة ، فجاءت تعليقاتهم – في الغالب – أسيرة الأحكام النحوية ، جعلوا لها الصدارة في تقديرهم المحذوفات ، و كاد يتوارى – في كثير من المواضع – تقصيهم للآثار النفسية الناتجة عن الحذف ، و هو ما ينبغي أن يكون ميدانهم و مناط اهتمامهم .

- إن كثيراً من الأساليب القرآنية التي وردت دون أجوبة ، يمكن تقبلها كما هي دون إيغال في تمحلات لرد محذوفات مفترضة ، في ردها – غالباً – إطاحة ببلاغة العبارة ، و إضعاف لتأثيرها .

- يوصي الباحث بتقصي الآثار البلاغية والنفسية لبعض الأساليب القرآنية التي بدا في ظاهرها تجافٍ للأحكام النحوية .

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (٩١١هـ) ، تحقيق مجمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت، ١٩٨٧.

٢- أدب الكاتب،ابن قتيبه، أبو محمد عبدالله بن مسلم(٢٧٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة بمصر، ط١٩٦٣،٤.

٣- أسرار البلاغة ، الجرجاني ،عبد القاهر بن عبد الرحمن،(٤٧١هـ)، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة ، ١٩٩١ .

٤- إعجاز القرآن ، الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هـ) ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١.

٥- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، الزجاج ، أبو اسحق إبراهيم بن السّري(٣١١هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٦.

٦- إعراب القرآن، النحاس ،أبو جعفر أحمد بن محمد (٣٣٣هـ) ،تحقيق زهير غازي زاهد ،مطبعة العاني ،بغداد ،١٩٧٧ .

٧- الأمالي الشجرية ، ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي (٥٤٢ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٩هـ .

٨- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ،ابن الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن محمد (٥٧٧هـ) ، نشرة محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، ١٩٩٣.

٩- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ابن هشام ، جمال الدين الأنصاري(٧٦١هـ)، نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ،مؤسسة الطباعة والنشر، دار الهجرة ،إيران ،ط٣ ،١٤١٤هـ .

١٠- الإيضاح في علوم البلاغة ،القزويني ، الإمام القزويني (٧٣٩هـ) ، شرح وتعليق محمد الخفاجي وعبد العزيز شرف ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ودار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ط١٩٩٩،٦ .

١١- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، عبد الله محمد ابن أبي بكر (٧٥١هـ) ، إدارة المطبعة المنيرية .

١٢- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله (٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ،،ط٢، ١٩٧٢.

١٣- البلاغة،المبرد، أبو العباس ، محمد بن يزيد(٢٨٥هـ) ، تحقيق رمضان عبد التواب ،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط١٩٨٥،٢ .

١٤- بيان إعجاز القران، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد(٣٨٦هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران ، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام ،دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٦ .

١٥- البيان في غريب إعراب القرآن،ابن الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد طه،مراجعة مصطفى السقا،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،١٩٧٠ .

١٦- البيان والتبيين،الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون.

١٧- التبيان في إعراب القرآن ، العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ، شركة عيسى البابي الحلبي .

١٨- تفسير الجلالين ،الجلالين ،جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ)وجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، قدم له وراجعه الأستاذ مروان سوار ،دار المعرفة،بيروت،ط١٩٨٤،٢ .

١٩- تفسير النسفي ،النسفي ،أبو البركات عبدالله بن احمد (٧٠١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن ،الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ)، دار الفكر،١٩٨٤ .

٢١- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٢هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٢٢- الخصائص ،ابن جني ،أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار،دار الهدى ،بيروت ،ط٢ .

٢٣- دلائل الإعجاز، الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ط١٩٩٣،٣.

٢٤- الرسالة الشافية، الجرجاني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران ، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٦ .

٢٥- سرّ الفصاحة، الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد(٤٦٦هـ)، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٤.

٢٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،ابن عقيل ،بهاء الدين عبدالله(٧٦٩هـ)،

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،ط١٥ ،١٩٧٢ .

٢٧- الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى شويمي ، مؤسسة أ.بدران للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٦٤.

٢٨- صفوة التفاسير ،الصابوني ،محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم،بيروت، ط٢ ،١٩٨١ .

٢٩- الصناعتين ،العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (٣٩٥ هـ) ، تحقيق محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي ، يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) ، مطبعة المقتطف بمصر ،١٩١٤.

٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني،أبو علي الحسن،(٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ، بيروت،ط٤.

٣٢- فتح القدير،الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،ط٢ ،١٩٦٤ .

٣٣- في ظلال القرآن ،سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط٥ ، ١٩٦٧.

٣٤- الكتاب ، سيبويه ، أبو بشر عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.

٣٥- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، دار الفكر ١٩٧٧.

٣٦- المثل السائر ،ابن الأثير ،أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد

(٦٣٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،صيدا وبيروت،١٩٩٠.

٣٧- مجاز القرآن، أبو عبيدة ، معمر بن المثنى(٢١٠ هـ) ، تعليق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بمصر.

٣٨- مشكل إعراب القرآن ،القيسي ،مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، تحقيق حاتم صالح الضامن ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط٣ ،١٩٨٧ .

٣٩- معاني القرآن،الأخفش،أبو الحسن سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ)، تحقيق فائز فارس،ط٢.

٤٠- معاني القرآن ، الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زيد (٢١١هـ)، تحقيق احمد يوسف النجار،عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠.

٤١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، تحقيق مازن مبارك، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط٦، ١٩٨٥ .

٤٢- المقتضب، المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٦_١٣٩٩هـ.

٤٣- النكت في إعجاز القرآن،الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى(٣٨٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجازالقرآن ، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام ،دار المعارف بمصر ، ط١٩٨٦،٢.

٤٤- النكت في تفسير كتاب سيبويه ،الأعلم الشنتمري ،أبو الحجاج يوسف بن سليمان ،(٤٧٦هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ،معهد المخطوطات العربية ،الكويت ،١٩٨٧ .

Abstract

The Psychological Effect of the Deletion of Answers in the Quran

Dr. Hifzi Ashtia

This research examines the close relation between eloquent expressions and their effect on the recipient. The idea of the deletion of answers in the Holy Quran is chosen as an example. The introduction of this research touches on the realization of ancient grammariaSns on the relation between eloquent speech and its effect on the recipient, reviewing their comments and convictions of this strong relation. This tested by examples from the Holy Quran which contain deletion of answers to some questions. It is found that most grammarians related the omitted answers to their original rhetoric expressions, thus ignoring the effect of the deletions on the recipients psychologically.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

GENERAL SUPERVISION
Dr. Mohammed Abdul Rahman
Vice Chancellor of the College

EDITOR IN-CHIEF
Prof. Ahmed Hassani

EDITORIAL BOARD
Prof. Mohammed Abdallah Sa'ada
Prof. Omer Abdul Ma'aboud
Prof. Abdul Aziz Dakhan
Dr. Asma Ahmed Al Owais

ISSUE NO. 38
Zu Al Hajja 1430H - December 2009CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI

COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Islamic & Arabic Studies College Magazine

An Academic Refereed Journal

38

Issue No. 38

E Mail iascm@emirates.net.ae

Website www.islamic-college.ae

م 2009/ هـ1430

Read In This Issue

The Almsgiving (Zakat) of the Money of the Boy and the Insane

The Almsgiving (zakat) of the Companies' Shares

Al Hafiz al-Birzali: His Efforts in Hadith and History

Al-Tizkar fi-Qiraa't al-Attar: A Study, Editing

The Cultural Dimension of Islamic Tolerance

The Effect of Oriental Thought on Arabic Grammar and Prosody.

The Connections of the Sentence Among Grammarians.

Places and Features of Articulation: Ibn al-Tahhan

The Psychological Effect of the Deletion of Answers in the Quran